



الكرسي الرسولي

APOSTOLIC JOURNEY OF HIS HOLINESS POPE FRANCIS TO COLOMBIA

(6-11 SEPTEMBER 2017)

الزيارة الرسولية إلى كولومبيا

عظة قداسة البابا فرنسيس

"كرامة الشخص وحقوق الإنسان"

كارتاخينا دي إيندياس ١٠ سبتمبر / أيلول ٢٠١٧

[Multimedia]

في هذه المدينة التي دُعيت "البطولية" من أجل شجاعته لمائتي سنة خلت في الدفاع عن الحرية التي نالتها، احتفل بالذبيحة الإلهية الأخيرة في هذه الزيارة. تشكّل كارتاخينا دي إيندياس في كولومبيا، منذ اثنتي عشرة سنة، مقرّ حقوق الإنسان، لأنّ الشعب هنا يعتبر أنّ "بفضل المجموعة الإرسالية المكوّنة من الكهنة اليسوعيين بيدرو كلايفر إي كوربيرو وألونسو دي ساندوفال والأخ نيكولاس غونزاليز يرافقه العديد من أبناء مدينة كارتاخينا دي إيندياس في القرن السابع عشر، ولد الاهتمام لتخفيف وضع المعذبين في تلك المرحلة، ولاسيما وضع العبيد الذين طالبوا من أجلهم بالاحترام والحرية" (كونغرس كولومبيا، ١٩٨٥، القانون ٩٥، المادة ١).

هنا، في مزار القديس بيدرو كلايفر حيث يتم بشكل مستمرّ ومنتظم تصديق ودراسة ومتابعة تطورات وثبات حقوق الإنسان في كولومبيا، وكلمة الله تحدّثنا اليوم عن المغفرة والإصلاح والجماعة والصلاة.

في الخطاب الرابع في إنجيل متى، يتحدّث يسوع إلينا، نحن الذين قرّرنا أن نركّز على الجماعة ونقدّر الحياة المشتركة ونحلم بمشروع يشمل الجميع. والنص الذي يسبقه هو نص الراعي الصالح الذي يترك الـ ٩٩ خروفاً ليذهب بحثاً عن الخروف الضال، وهذا النكهة تطبع الخطاب الذي سمعناه الآن بكامله: ما من أحد ضائع بالكامل ولا يستحق عنايتنا وقربنا ومغفرتنا. من هذا المنظار نفهم أن النقص أو الخطيئة التي قد يرتكبها أحد ما تسائلنا جميعاً ولكنها تطال، قبل كل شيء، ضحية خطيئة الأخ؛ وبالتالي هو مدعو للمبادرة لكي لا يضيع الشخص الذي أساء إليه. يقوم بالمبادرة: من يقوم بالمبادرة هو دوماً الأكثر شجاعة.

لقد سمعت خلال هذه الأيام شهادات عديدة لأشخاص ذهبوا للقاء من أساء إليهم. لقد تمكنت من رؤية جراح رهيب في أجسادهم وخسارات لا يمكن تعويضها وما تزال تؤثّر فينا، وبالرغم من ذلك ذهب هؤلاء الأشخاص وقاموا بالخطوة الأولى على درب مختلفة عن الدروب التي ساروا فيها؛ لأن كولومبيا تبحث عن السلام منذ عشرات السنين، وكما يعلم يسوع، لم يكن كافياً أن يقترب الطرفان ويتحاورا وإنما كان هناك حاجة لإدخال فاعلين آخرين في هذا الحوار لتعويض الخطايا. "وان لم يسمع لك [أخوك] فخذ معك رجلاً أو رجلين" (متى ١٨، ١٦) يقول لنا الرب في

لقد تعلّمنا أنّ سبيل السلام وألوية العقل على الانتقام والتناغم الهشّ بين السياسة والقانون لا يمكنها أن تصلح مسيرات الناس. لا يكفي رسم الأطر القانونية والاتفاقات المؤسساتية بين المجموعات السياسية أو الاقتصادية ذوي الإرادة الصالحة. إن يسوع يجد الحل للشّر المرتكب في اللقاء الشخصي بين الأطراف، هذا من المهمّ على الدوام أن ندخل في عملياتنا للسلام خبرة القطاعات التي، وفي مناسبات عديدة، قد تمّ تغييرها، لكي تلون الجماعات عمليات الذكرى الجماعية. إن المسؤول الأول والفاعل التاريخي لهذه العملية هم الناس وثقافتهم، لا فئة معينة أو جزءاً أو مجموعة أو نخبة - كلّ الناس وثقافتهم-. لسنا بحاجة لمشروع قليلين موجهٍ لقليلين، أو لأقلية مستتيرة تستولي على شعور جماعي. وإنما يتعلّق الأمر باتفاق من أجل العيش معاً ولمعاهدة اجتماعية وثقافية" (الإرشاد الرسولي فرح الإنجيل، عدد ٢٣٩).

يمكننا أن نعطي إسهاماً كبيراً لهذه الخطوة الجديدة التي تريد كولومبيا أن تقوم بها. يدلّنا يسوع أنّ مسيرة إعادة الاندماج في الجماعة تبدأ بحوار بين شخصين. لا يمكن لشيء أن يستبدل هذا اللقاء التعويضي؛ ولا يمكن لأي عملية جماعية أن تعفينا من تحدّي لقائنا ببعضنا البعض والشرح لبعضنا البعض والمغفرة. إن جراح التاريخ العميقة تستوجب بشكل ضروريّ أوضاعاً يتم فيها تحقيق العدالة وحيث من يمكن للضحايا أن يعرفوا الحقيقة ويتم إصلاح الأذى كما يجب ويتمّ العمل بوضوح لتفادي تكرار جرائم من هذا النوع. ولكنّ هذا كلّه يتركنا عند عتبة المتطلّبات المسيحية. يُطلب منا، نحن المسيحيون، أن نخلق تغييراً ثقافياً "انطلاقاً من الأسفل"، فنحجب على ثقافة الموت والعنف، بثقافة الحياة واللقاء. لقد قاله لنا أديبكم: "لا يمكن إصلاح هذه المأساة الثقافية بواسطة الرصاص أو المال وإنما من خلال التربية على السلام الذي يُبنى بمحبة على حطام بلد يشتعل وحيث نستيقظ باكراً لنستمرّ في قتل بعضنا البعض... ثورة سلام شرعية تقود نحو الحياة القوّة الخالقة العظيمة التي ولقرنين تقريباً استعملناها لندمر بعضنا وتطالب بنفوق الخيال وترتقي به (غابرييل غارسيا ماركيز، رسالة حول السلام، ١٩٩٨).

كم عملنا لصالح اللقاء والسلام؟ وكم توانينا، وسمحنا للوحشية أن تتجسّد في حياة شعبنا؟ يوصينا يسوع أن نقارن أنفسنا مع طرق التصرف هذه وأساليب الحياة التي تؤذي الجسم الاجتماعي وتدمر الجماعة. كم من مرّة تصبح "طبيعية" -تعاش وكأنها أمور طبيعية- عمليات العنف والإقصاء الاجتماعي بدون أن يرتفع صوتنا وأن ترفع أيادنا أصابع الاتهام بشكل نبوي! لقد كان هناك بالقرب من القديس بيدرو كلايفر آلاف المسيحيين وكثيرون منهم كانوا مكرّسين... ولكن قلة منهم فقط بدؤوا تياراً من اللقاء يتعارض مع الثقافة السائدة. لقد عرف القديس بيدرو كلايفر أن يعيد الكرامة والرجاء لمئات الآلاف من السود والعييد الذين كانوا يصلون بأوضاع لإنسانية، مذعورين وبدون رجاء. لم يكن يملك شهادات علمية رفيعة، وكان يقول عن نفسه إنه لا يتمتع بالذكاء الكافي، ولكنّه تحلى بالعبريّة ليعيش الإنجيل بالكامل ويلتقي مع الذين كان الآخرون يعتبرونهم على هامش الحياة. وبعد قرون تبعث خطوات هذا المرسل والرسول اليسوعي القديسة ماريا برنارد بوتلر التي كرّست حياتها لخدمة الفقراء والمهمّشين في مدينة كارتاخينا.

من خلال اللقاء مع بعضنا البعض نعيد اكتشاف حقوقنا، ونعيد خلق الحياة كي تصبح إنسانية مجدداً. "على البيت المشترك لجميع البشر أن يقوم دائماً على أساس الفهم الصحيح للأخوة الكونية وعلى احترام قدسية كلّ حياة بشرية، وكلّ رجل وكلّ امرأة؛ والفقراء، والمسنين، والأطفال، والمرضى، والأجنّة، والعاطلين عن العمل، والمتروكين وأولئك الذين يُعتبرون أهلاً للإقصاء لأنه يُنظر إليهم على أنهم مجرد أرقام في هذه الإحصائية أو تلك. كما لا بد أن يُبنى البيت المشترك لجميع البشر أيضاً على أساس فهم ما للطبيعة المخلوقة من قدسية". (خطاب إلى الأمم المتحدة، ٢٥ سبتمبر / أيلول ٢٠١٥).

في الإنجيل، يتحدّث يسوع أيضاً عن إمكانية أن ينغلق الآخر على ذاته، ويرفض التغيير، ويصرّ على شرّه. لا يسعنا أن ننكر وجود أشخاص يتمسكون بخطايا تضر بالتعايش والجماعة: "أفكر بمأساة المخدّرات الممزّقة التي يتمّ من خلالها جني الأرباح في إطار ازدهار القوانين الخلقية والمدنية". إن هذا الخطر يهدّد مباشرة كرامة الإنسان ويحطّم تدريجياً الصورة التي طبعها الخالق فينا. إنّي أدين بشدّة هذه الآفة التي أرهقت العديد من الأرواح والتي يدعمها ويساندها

رجال لا ضمير لهم. لا يمكن لأحد التلاعب بحياة أخ لنا أو بكرامته. إني أناشد، كما يتم البحث عن سبل لوضع حدّ للتجارة بالمخدرات، وهو أمر لا يبعث إلا الموت في كل مكان، فيجمع آمالا كثيرة ويدمر الكثير من الأسر. أفكر أيضاً بمأساة أخرى: "بتلاف الموارد الطبيعية وبالتلوث الحاصل، بمأساة استغلال العمل؛ أفكر بالنشاطات المالية غير المشروعة وبالمضاربات الوهمية المالية، التي غالباً ما تكتسب طابعاً مضرراً ومسيئاً لأنظمة اقتصادية واجتماعية برمتها، ما يعرض للفقر ملايين الرجال والنساء؛ أفكر بالدعارة التي تحصد يومياً ضحايا أبرياء، خصوصاً وسط الأجيال الغتية، وتسلب منها المستقبل؛ أفكر بالإتجار المقيت بالكائنات البشرية، بالجرائم والانتهاكات الممارسة بحق القاصرين، بالعبودية التي ما يزال رعبها منتشراً في مناطق عدة من العالم، بمأساة غالباً ما لا تلقى آذاناً صاغية، مأساة المهاجرين الذين غالباً ما يُستغلون بطريقة مخزية في إطار انعدام الشرعية" (رسالة لمناسبة اليوم العالمي للسلام ٢٠١٤)، وصولاً إلى التفكير في "شرعية معقمة" تدعو إلى السلم لكنها لا تأخذ في الاعتبار جسد الأخ، الذي هو جسد المسيح. وينبغي أن نكون مستعدين أيضاً لهذا الأمر وتتخذ مواقف راسخة بشأن مبادئ العدالة التي لا تؤثر بشيء على المحبة. لا يمكن العيش بسلام بدون التعامل مع ما يُفسد الحياة ويعرضها للخطر. يطلب منا التاريخ أن تتبنى التزاماً نهائياً دفاعاً عن حقوق الإنسان، هنا في كارتاخينا دي إيندياس، المكان الذي اخترتموه كمقر وطني للدفاع عن هذه الحقوق.

أخيراً يطلب منا يسوع أن نصلي معاً؛ أن تكون صلواتنا متناغمة كالسيمفونية، تضم "نبرات" شخصية ولهجات مختلفة، لكنها ترفع بتناغم صرخة واحدة. إني لواثق بأننا نصلي معاً اليوم من أجل إنقاذ الأشخاص الذين ساروا في دروب الخطأ لا من أجل القضاء عليهم، من أجل العدالة لا الثأر، من أجل تصويب الأمر في إطار الحقيقة لا في إطار النسيان. نصلي من أجل تحقيق شعار هذه الزيارة: "لنقم بالخطوة الأولى!"، ولتكن هذه الخطوة الأولى في اتجاه مشترك.

"القيام بالخطوة الأولى" يعني، قبل كل شيء، ملاقة الآخرين مع المسيح الرب. وهو يطلب منا دائماً القيام بخطوة مقررة وأكيدة تجاه الأخوة، متخليين عن المطالبة بأن يُغفر لنا بدون أن نغفر، وأن نُحَبّ دون أن نُحَبّ. إذا كانت كولومبيا تريد سلاماً مستقراً ودائماً عليها أن تخطو خطوة في هذا الاتجاه وعلى وجه السرعة، أي في اتجاه الخير العام والإنصاف والعدالة واحترام الطبيعة البشرية ومتطلباتها. فقط إذا ساعدنا على حل عقد العنف ستمكن من إيجاد حلول لدوام الصراعات: إننا مدعوون إلى القيام بخطوة اللقاء مع الأخوة، متسلحين بشجاعة القيام بتصحيح يحقق الاندماج ولا يقصي الآخرين؛ إننا مدعوون إلى الثبات - بمحبة - في ما ليس قابلاً للتفاوض؛ فالمطلوب في نهاية المطاف هو بناء السلام "متحدثين ليس باللسان لكن بالأيادي والأعمال" (القديس بيدرو كلافير)، ورفع الأعين معاً نحو السماء: إنه قادر على حل المشكل التي تبدو مستحيلة بالنسبة لنا، لقد وعد بمرافقتنا حتى نهاية الأزمنة، ولن يترك عقيماً هذا عطيماً من هذا النوع.

الزيارة الرسولية إلى كولومبيا

الوداع

في ختام القداس الإلهي

كارتاخينا دي إيندياس ١٠ سبتمبر / أيلول ٢٠١٧

في ختام هذا الاحتفال، أود أن أشكر المطران خورخي إنريكيه خيمينيز كارافاخال، رئيس أساقفة كارتاخينا، على

4
الكلمات اللطيفة التي وجهها لي باسم الأخوة في الأسقفية وشعب الله كله.

أشكر السيّد الرئيس خوان مانويل سانتوس على دعوته لزيارة البلد، والسلطات المدنية، وكل من أرادوا الانضمام إلينا في هذا الاحتفال الإفخارستي، أكان في هذا المكان أم من خلال وسائل الاتصالات.

شكرا على الالتزام والتعاون اللذين سمحا بإتمام هذه الزيارة. كثيرون هم الأشخاص الذين تعاونوا بجهوزية، مكرسين وقتهم. كانت هذه الأيام عارمة وجميلة التقيت خلالها بالعديد من الأشخاص وتعرفتُ على وقائع كثيرة لامست قلبي. لقد تركتم لدي أثراً كبيراً!

أبها الأخوة الأعزاء، أود أن أترك لكم كلمة أخيرة: دعونا لا نتوقف عند الخطوة الأولى، بل دعونا نواصل المسيرة معاً يومياً لملاقة الآخر، وللبحث عن التناغم والأخوة. لا يمكننا أن نتوقف. في الثامن من سبتمبر / أيلول ١٦٥٤ مات في هذا المكان القديس بيدرو كلافير بعد أربعين سنة من العبودية الطوعية، ومن العمل المتواصل لصالح الأشخاص الأشد فقراً. فهو لم يتوقف، إذ تلت الخطوات الأولى خطوات كثيرة غيرها. إن مثاله يحملنا على الخروج من ذواتنا من أجل ملاقة القريب. يا كولومبيا، أخوك يحتاج إليك، قومي لملاقاته حاملةً معانقة السلام، الخالية من العنف. "عبيد للسلام إلى الأبد".

©جميع الحقوق محفوظة - حاضرة الفاتيكان 2017

©Copyright - Libreria Editrice Vaticana